337 - ـ فصل : قدماء العلماء و همتهم العالية .

كانت همم القدماء من العلماء عالية تدل عليها تصانيفهم التي هي زبدة أعمارهم .

إلا أن أكثر تصانيفهم دثرت لأن همم الطلاب ضعفت فصاروا يطلبون المختصرات و لا ينشطون للمطولات .

ثم إقتصروا على ما يدرسون به من بعضها فدثرت الكتب و لم تنسخ .

فسبيل طالب الكمال في طلب العلم الإطلاع على الكتب التي قد تخلفت من المصنفات فليكثر من المطالعة فإنه يرى من علوم القوم و علو هممهم ما يشحذ خاطره و يحرك عزيمته للجد و ما يخلو كتاب من فائدة .

و أعوذ باﷲ من سير هؤلاء الذين نعاشرهم لا نرى فيهم ذا همة عالية فيقتدي بها المبتدي و لا صاحب ورع فيستفيد منه الزاهد .

فاﷲ اﷲ و عليكم بملاحظة سير السلف و مطالعة تصانيفهم و أخبارهم فالاستكثار من مطالعة كتبهم رؤية لهم كما قال : .

(فاتني أن أرى الديار بطرفي ... فلعلي أرى الديار بسمعي) .

و إني أخبر عن حالي ما أشبع من مطالعة الكتب و إذا رأيت كتابا لم أره فكأني وقعت على كنز .

و لقد نظرت في ثبت الكتب الموقوفة في المدرسة النظامية فإذا به يحتوي على نحو ستة آلاف مجلد و في ثبت كتب أبي حنيفة و كتب الحميدي و كتب شيخنا عبد الوهاب و ابن ناصر و كتب أبي محمد بن الخشاب و كانت أحمالا و غير ذلك من كل كتاب أقدر عليه .

و لو قلت أني طالعت عشرين ألف مجلد كان أكثر و أنا بعد في الطلب .

فاستفدت بالنظر فيها من ملاحظة سير القوم و قدر هممهم و حفظهم و عباداتهم و غرائب علومهم ما لا يعرفه من لم يطالع .

فصرت أستزري ما الناس فيه و أحتقر همم الطلاب و اﷲ الحمد